

باب الترقى والتعليم

﴿ تقرير مشيخة علماء الاسكندرية ﴾

الاحصاء العام

كتبنا في الجزء التاسع عشر رأينا في مقدمة هذا التقرير ونكتب الآن شيئاً عن فصوله ومسائله المقصودة منه بنفسها وأولها فصل الاحصاء العام وفيه ان الإقبال على طلب العلم في الاسكندرية كان في هذا العام عظيماً حتى بلغ عدد الطلاب في هذا العام ٧٢١ طالباً وكانوا في نهاية السنة الماضية (وهي الاولى للمشيخة) ٣٤١ فالزيادة ٣٨٠ ولكن لم يثبت من هؤلاء وهؤلاء الا ٤٤٠ وهو العدد الموجود والمسجل الآن . وقد قال الاستاذ واضع التقرير « ان جميع مديريات القطر المصري قد اشركت في طلب العلم الشريف بهذه المدينة » وجعل ذلك دليلاً على الثمور العام والميل الخاص الى الترقى في طلب العلوم الدينية وأحال في بيان هذا على الجداول التي وضعها لاحصاء الطلاب فراجعناها فلم نر فيها ذكراً لمديرية القليوبية ولا لمديرية الجيزة ولا لمديرية بني سويف . ورأينا أكثر من جاء الاسكندرية من مديرية البحيرة وسببه ظاهر وهو قربها منها وبعدها عن مصر ثم من الغربية ولعله هذه العلة وأما الشرقية والفيوم فلكل منهما طالب واحد في الاسكندرية ولمديرية جرجا اثنان ولكل من قنا وأسيوط والمنيا ثلاثة وللمنوفية أربعة وللدقهلية خمسة ولأسوان ستة ولا يعرف السبب في وجود هؤلاء في الاسكندرية .

وما ذكر في التقرير من كون هذا أثر الثمور العام والميل الخاص الى الترقى في العلوم الدينية فهو غير ظاهر لأن هذا العدد قليل وأسباب الاختيار مجهولة ولأن التعليم في الاسكندرية هو دون التعليم في مصر ووطنها من وجهين أحدهما أن المدرسين في مصر ين أرقى في العلوم الدينية ووسائلها من المدرسين في الاسكندرية وثانيهما ان الدروس نفسها أرقى والعلوم أكثر في الاسكندرية يقرأون الجلالين

في التفسير وفي الأزهر يقرءون البيضاوي والكشاف وتفسير الجلايين أصغر كتب التفسير وأقلها فائدة والبيضاوي والكشاف أعلاها ولا يخفى أن روح الدين كله في القرآن فمن لم يرتق فيه فلا رقي له . وليس في الاسكندرية شيء من علم الاصول ولا المعاني ولا البيان وفهم الفقه والتفسير والحديث لا يتم لمن لاحظ له من هذه العلوم . والمذرفي عدم قراءة هذه العلوم أنه ليس في الاسكندرية من الطلاب الا خمس فرق ابتدائية أو خمس سنين على اصطلاحهم وليس من غرضنا هنا الانتقاد على اختيار ما اختارت المشيخة لهذه السنين من الدروس وإنما الغرض بيان أن العلوم في مصر وطنطا أرقى منها في الاسكندرية فطالب الرقي في هذه العلوم لا يختار الادنى وهو الاسكندرية على الاعلى كالأزهر .

فالتنبية على هذه الدقائق مما لا بد منه للباحث في الأمور العامة وسنن الاجتماع لأن أكثر الناس قداعتادوا ترك التدقيق في أمثال هذه الاقوال، وأمثال هذه الطرق من الاستدلال، التي جرى عليها بعض أصحاب الجرائد في هذه البلاد، واعتاد السكوت عن التمهيص أهل الفهم والتدقيق من الكتاب، حتى صارت دهاء الامة تعتقد في الأمور العامة غير الصواب، فإله قول في مسألة إقبال الناس على التعلم في الاسكندرية هو ما ذكرنا من أن أهل البحيرة والغربية يرجحونها تقربها وما جاء من غير هاتين المديرتين لا يعتد به ولا ينهض دليلا على ما يرمي إليه التقرير من شعور الامة بأن العلوم الدينية في الاسكندرية أرقى فطالب الرقي يفضلها ويختارها . ويوضح ما يريد صاحب التقرير من تفضيل مشيخته على مشيخة الأزهر في التعليم ما ذكره في الفصل الآتي قال

﴿ طرق التعليم ﴾

« كان الأزهريون ولا يزالون يعتمدون في تعليمهم لطلاب العلم الشريف العناية بتنمية القوة العاقلة واعدادها للبحث واستنتاج النتائج من المقدمات ولذلك كانت عنايتهم بالجهد وطرق الاقتناع أكثر من عنايتهم بالتبسيط النتائج الحقة (كذا) من مقدماتها الصحيحة . وقد كنا نرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة لولا أن بعض المتأخرين استعملوها بافراط حتى مع صفار الطلبة والمبتدئين

في العلوم فيقتضي الطالب الاعوام العديدة من بداية طلبه بين تشكيكات ومناقشات
واعترضات وأجوبة قلما يحسن معها العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها
«ولقد أدركنا الطرف الأخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أ كابر العلماء
فيه الازهرين وغيرهم متجهة في بداية الطلب الى تكليف الطلاب بحفظ متون
العلوم (كذا) وهي مسائلها التي تسرد سردا ثم التدرج معهم في ادراك تلك المسائل
تدرجاً يناسب مداركهم وقواهم العقلية حتى يلبثوا الحد الذي يقتدرون فيه على
الاشتغال بإقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يملون (كذا) . ولكن الولع
بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح الذي استضاء به العالم الاسلامي
دهراً طويلاً . وهذا التدرج في التعليم كان طريقة للمتقدمين يحسن بالتأخرين
أن يسلكوها اتباعاً لسلفهم الصالح»

ثم نقل من مقدمة ابن خلدون نبذة في التعليم ملخصها ان التعليم انما يكون
مفيداً اذا كان على التدرج مراعى فيه استعداد الطالب بأن يقرأ له الفن ثلاثاً
يلقى عليه في الاولى أصول المسائل وتشرح بالاجمال ويخرج بالثانية الى التفصيل
وذكر الخلاف ووجوهه ويستقصى في الثالثة كل عويص ويوضح كل مقفل
ثم ذكر ابن خلدون أنه شاهد كثيراً من المعلمين يجهلون طرق التعليم فيلقون على
المتعلم في أول تعليمه المسائل المتقنة ويطالبونه بحلها ويخلطون عليه غايات العلوم في
مبادئها ويكلفونه وعيها وهو لم يستعد لها فيكل ذهنه ويكسل ويهجر العلم ظناً منه
أنه صعب في نفسه وانما هو سوء التعليم . ثم ذكر صاحب التقرير مفسداً آخر من
مفسدات التعليم في مثل الازهر فقال

« واذا أضمننا الى هذا الذي قاله المحقق ابن خلدون مفسداً آخر لطرق
التعليم وهو اطلاق السراح للطلاب وتركهم يحضرون ما يشاءون ويتركون ما
يشاؤون ويتدرجون في تلقي العلوم كما يشتهون بدون مراقبة على المواظبة في الطلب
ولا ملاحظة لاستعداد الطالب فيما يريد تلقيه ، كانت المصيبة أعظم والفساد أعم
وأشمل ، فلم يكن من العجب أن يقتضي الطالب العشرات من السنين في دور
العلم ومعاهد التعليم ثم لا يكون حظه من تلك السنين الطوال الا إضاعة العز في

الاختلاف الى الدروس بلا فائدة يستفيد بها ولا علم يحصله ولا يقتصر ضرره على نفسه ولكنه يتعدى الى العلماء المتصدرين للتدريس فيكون حجة للذين يسبون التدريس في الأزهر الشريف وملحقاته وبرهاناً تقطع دونه السنة الذين يدافعون عن التعليم في دور العلم الاسلامية »

ثم ذكر أن مشيخة الاسكندرية تداركت هذا الفساد في طرق التعليم بشيئين (١) تكليف بعض العلماء مراقبة الطلبة في شؤونهم الدراسية ونمو يدهم على الأخلاق المرضية (كذا) (٢) تقرير الامتحان السنوي على كل طالب حتى لا ينتقل من علوم سنته الى أرقى منها الا اذا أظهر الامتحان استعداده لعلوم تلك السنة . قال « أما العيب الذي أشار اليه ابن خلدون فقد تلافته المشيخة بشيئين أيضاً . الأول تنبيه حضرات العلماء والمدرسين الى ملاحظة قوى الطلبة والاقتصار على تفهيمهم مسائل الكتب المكلفين بتدريسها (كذا) بدون تعرض لكلام الحواشي والشروح الطوال خصوصاً مع المبتدئين في الطالب » والثاني عناية المشيخة بانتخاب الكتب التي تناسب كل سنة من سني الدراسة

ان الذي يمكن أن يلخص به كلامه في عيوب التعليم في الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية على ما فيه من الاضطراب والايهام هو أن العيوب ثلاثة (١) أن بعض المتأخرين قد استعملوا طريقة الأزهر القديمة في التعليم التي كان يرجى خيرها بافراط حتى مع الصغار والمبتدئين فصار الطالب يقضي السنين بين التشكيكات والمناقشات فقلما يحسن العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها (٢) الولوج بالشغب والمحدثات الذي كاد يطفىء مصباح الاسلام وهو ما كان عليه أهل الأزهر من الابتداء بحفظ المتون والتدرج في ادراك مسائلها . وقال ان هذا ما كان عليه سلف الأمة الصالح واستدل على ذلك بعبارة ابن خلدون (٣) اطلاق السراح للطلاب يتدرجون كما يشتهون ويحضرون من الكتب ما يختارون بدون مراقبة . وذكر من ضرر هذا العيب أن الطالب يقضي العشرات من السنين في معاهد العلم بلا فائدة وأن ذلك برهان للذين يسبون التدريس في الأزهر وملحقاته لا يرد وحجة لاتدحض . ثم ذكر ان مشيخة الاسكندرية قد تداركت هذه العيوب أي فبرئت

من استحقاق السب وبقيت هذه العيوب في الأزهر وسائر ملحقاته في التعليم .
واننا نبحت في هذه المسائل شاكرين لله تعالى أن وفق عالماً من علمائنا الرسميين
للكتابة في طرق التعليم وعرض آرائه على الباحثين والمنتقدين ولاغرو أن تتي
بالشكر للشيخ شاكر

أبدأ ببيان ما أشرت إليه من الاضطراب والابهام بل والابهام في العبارة
فأقول ان عبارة التقرير في هذا الموضوع عبارة من قضت عليه الحال بأن يداري
ويواري فيوهم بعض القارئين بما بهم على الآخرين، ويرضي المختلفين في الرأي؛
بالدم في معرض المدح والمدح في معرض الذم ويأتي بقياس مؤلف من مقدمات؛
تؤخذ بالتسليم وان كانت نظريات، وتكون النتيجة ان التعليم في الأزهر له كذا
وكذا من العيوب والمفاسد، وان التعليم في الاسكندرية له كذا وكذا من المحاسن
والفوائد، ولكن العبارة لم تواته على ما يكيد (أي يحاول) فلم تأت الا ببعض ما يريد،
هذا ما توهمي إليه العبارة من غرض الكاتب وما كان مستولياً عليه من الفكر ومتأثراً
به من الشعور عند الكتابة ذكرناها على الطريقة الغربية في النقد وهي عندنا أفضل
ما يعتذر به عن الكاتب عند من يرى الاضطراب في القول فيحمله على
مراكب آخر .

ماذا يفهم القارئ من قوله ان طريقة الأزهر بين التي درجوا عليها كانت
تقضي بالعناية بالجدل وطرق الاقناع أكثر من العناية بطلب النتائج الحقيقية
من مقدماتها الصحيحة وقوله انه كان يرجو الخبير لطلاب العلوم من هذه الطريقة
لولا ان أفرط فيها بعض المتأخرين فسلك فيها مع الصغار العاجزين عن الاستفادة
بها . هذه الطريقة شر طريقة جرى عليها الناس لا يصل سالكها الا الى افساد العلم
والدين كما بين ذلك حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من الاحياء
ماذا يفهم القارئ من قوله بعد ذلك انه أدرك الطرف الأخير من ذلك الزمن
الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه متجهة الى تكليف الطلاب حفظ المتون
والترج معهم في فهمها؟ أهذه هي الطريقة الاولى أم غيرها؟ ظاهر السياق أن هذا
يضاح لما قبله وهو ما كان عليه المتقدمون لا بعض المتأخرين الذين قال انهم

أفرطوا في استعمال تلك الطريقة ولا ينافي ذلك قطعاً ما ذكره من أنهم ينتهون إلى الاقتدار على الاشتغال باقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلّمونهم لأنه إنما جعل غايتهم الاستعداد لاقامة الأدلة والبراهين على معلمهم لا الاقتدار على اقامة البراهين بالفعل على الطالب الصحيحة فلا يقال ان قوله هذا مناقض لقوله السابق لان العناية بالجدل لاجل الاقناع والالزام لا تقضي إلى القدرة على تأليف البرهان لإفادة العلم . وتشبيهه هذه الطريقة بالمصباح وقوله ان العالم الاسلامي استضاء بها دهرًا طويلاً كرجائه الانتفاع بها في النبذة الاولى

وأما قوله «ولكن الولوج بالشغب والمحدثات قد كاد يظني هذا المصباح» فهو على ايهامه وايهامه لا يمكن أن يحمل الاعلى افراط أولئك المتأخرين في استعمال طريقة الازهر وهم بعضهم لأنه لم يذكر لغيرهم اساءة أخرى في اتباع الطريقة التي حمدها وقال ان الأزهريين كانوا ولا يزالون عليها . ولكن كلمة الشغب غريبة جداً في هذا المقام لأن معناها تهيج الشر فها هو الشر الذي هيج على العلماء من الأزهريين وغيرهم حتى كاد يظني ذلك المصباح - مصباح العناية بالجدل وتكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها ؟؟ ألا ان هذه الكلمة في هذا المقام من أوابد الغرائب التي لا تأنس فيه ولعلها اقتبست من بعض الكلام البليغ لإفادة معنى آخر فسقطت في هذا المكان فلم تقبلها فيه الأذهان على أن بعض ما عورض به الاصلاح قد كاد يكون شغباً أو كان والسياق هنا يأتى ارادته

وجملة القول ان الاستاذ صاحب التقرير بين طريقة الأزهر بما لا يحمد به ولكنه حمدها وغاية ما انتقده أن بعض المتأخرين بالغ فيها مع بعض الصغار من الطلاب وضرر هذا قليلاً تسهل ازائه . اذام أكبر العلماء على خلافه وأن الولوج بالشغب والمحدثات كاد يظني المصباح وانكته لم يطفئه فبقي وهاجاً . وباليتة بين لنا زال هذا الشغب فصرنا آمنين على المصباح أم الولوج به ما زال يلح بأهله فالمصباح على خطر ؟ ولقد أيد مدح هذه الطريقة الأزهرية بقوله انها كانت طريقة المتقدمين من السلف الصالح واستدل بكلام ابن خلدون . ما قاله ابن خلدون ليس حكاية عن السلف وإنما هو رأي له يرد به على من شاهد من المعلمين الكثيرين الذين

ينظرون طرق التعليم وليس هو كل رأيه فرأيه يخالف لما عليه الأزهر كما يعلم مما يأتي
 بحار قارىء التقرير فلا يدري أهذا المدح لطريقة الأزهر بيان لاعتقاد
 الكاتب أم يزداد به شيء آخر؟ العبارة محتملة يقوي ارادة المدح فيها عزوها الى
 السلف والاستدلال عليها بكلام ابن خلدون ولكن قوله بعد ذلك كله ان هناك
 مفسدا آخر لطرق التعليم به « كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل » يدل
 على أنه لم يقصد غير الذم. فإذا فعل ذلك المصباح في هذه الظلمات المتراكمة؟
 الفصل معقود لبيان طرق التعليم فكان ينبغي أن تذكر الطرق المعروفة فيه
 ويذكر أهلها ويفاضل بينها لبيان ما اختارته مشيخة الاسكندرية منها ولكنك
 تخرج من الفصل ولم تع غير طريقة واحدة للأزهر عرضت لها عيوب ومفاسد
 فأزالت مشيخة الاسكندرية عيوبها ومفاسدها فصارت خير الطرق عندها، تعي هذا
 بعد أن يضطرب ذهنك في الفهم، وتحار في التزييل بين المدح والذم، فهذا ما
 يقال في هذا الفصل من التقرير

وأما الموضوع في نفسه فالحق الذي نعلمه فيه علم اليقين ما نقول: ان طريق
 الأزهر في التعليم طريق طويلة مشتبهة الصوى، كثيرة التمعج والهوى، وأن أهل
 الأزهر كانوا ولا يزالون سائرين عليها على غوائلها، الا نفرًا من المتأخرين قد
 اتقوا بعض مفاسدها، عملا ببعض ما هداهم اليه الاصلاح الذي دعا اليه الاستاذ
 الامام رحمه الله تعالى وهو الذي اختار للشيخ محمد شامكر بعض تلامذته منهم
 يدرسون في الاسكندرية. وقد بشرنا الشيخ محمد شاكر انه أنفذ شيئاً من ذلك
 الاصلاح شيئاً آخر فجموع ما شرع فيه أربعة أمور ١ مراقبة المعلمين للطلبة و٢
 تقرير الامتحان السنوي و٣ حمل المعلمين على التدرج في التعليم و٤ اختيار الكتب
 وهذه الامور مما دعا اليه الاستاذ الامام في الأزهر واشتغل بها مجلس ادارته شغلا
 طويلا كما يعلم من تاريخه (كتاب أعمال مجلس ادارة الأزهر) وقد عارض في هذه
 الأمور بعض أكابر المشايخ المتقدمين لا (المتأخرين) الذين ذمهم التقرير المتقدمين
 الذين أدركهم أو بعضهم كاتبه قبل ظهور ما عبر عنه « بالشغب والمحدثات » ومن حسن
 الخطأ، لا يوجد في مشيخة الاسكندرية أمثال هؤلاء الاكابر المتقدمين اذ لو وجدوا ما لهم

في شهرتهم ونفوذهم لما تيسر له أن يقرر ما قرره من ازالة المفاسد فان تيسر له
تقريره بالقول فلا يتيسر انفاذه بالفعل على ان الانفاذ عسر على كل حال لقله
من عندنا من أهل الكفاءة اذ لم تعود هذه الطائفة على النظام ولم تعرف ما
وصلت اليه الامم في الارتقاء في فن التعليم . وما لا يدرك كله لا يترك كله والعمل يعد
بعضه بعضاً فنسأل الله كمال التوفيق للعامل والثبات عليه والاخلاص فيه ، وأما
الصواب في نظام التعليم فلا محل هنا للكلام فيه لما سبق لنا من التفصيل من قبل
ونكتنا تأتي من تاريخ الامة فيه ومنه تعرف طريقة السلف والخلف فنقول

طريقة المسلمين في التعليم وتاريخه عندهم

أن التعليم فن صناعي يرتقي بارتقاء حضارة الأمة ويندلى بتدليا ولم ينزل
الوحي بكيفية تنظيم المدارس وتلقين العلوم والفنون للناشئين فنقول إن قوانين
التعليم أحكام تعبدية تتلقى بالرواية ويتبع فيها طريق السلف الصالح من أهل
الصدر الأول لأنهم أعلم الناس بفرض الشارع وأشدهم محافظة عليه . واذا كان
التعليم فناً صناعياً فالذي ينبغي للأمة هو أن تفكر دائماً في ترقيته ولا يكتفي المتأخر
فيه بتقليد المتقدم بحجة أنه متبع لسلفه معظم لهم اذ ليس من تعظيم الصحابة
عليهم الرضوان أن نحارب بمثل ما كانوا يحاربون به من السيوف والرماح، وتترك
المدافع وغيرها مما استحدثت من آلات الكفاح ، فما جاء في تقرير مشيخة
الاسكندرية من استحسان طريقة كذا اتباعاً للسلف الصالح - لوصح - غير سديد،
انما السداد أن نختبر طرق التعليم المستحدثة ونتخير أمثلها فان التعليم في هذا العصر
أقوى عوامل الكفاح بين الأمم حتى تقلوا عن البرنس بسمرق الشهير أنه قال
اننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة . على أن ما ذكر في التقرير هو مخالف لطريقة السلف
الصالح في التعليم كما هو معروف للمطلع على التاريخ وتعرفه مجلها بآتي
كانت طريقة افادة العلم في الصدر الأول الرواية السانية ثم الاملاء والمذاكرة .
ولما كثر التصنيف واتسعت حضارة المسلمين صاروا يدرسون بعض الكتب المصنفة
وأكثرها في روايات الحديث والآثار وأشمار العرب ووقائعها وفي العلوم العربية
والشرعية المؤيدة بهذه الروايات . ولما دخلت في الامة العلوم اليونانية أخذوا لهم

معلمين من أهل المال الأخرى فحدثت لهم طرق جديدة ، ثم انحصر التعليم في قراءة الكتب غالباً فكانت طرق الناس في التعليم تابعة لطرفهم في التأليف ، وأول اشتغالهم بالتأليف في الفنون كان بجمع الروايات التي يتلقونها والأُمالي التي يهيئونها ويعلونها ثم توسعوا في ذلك ويسهل أن تعرف طريقة التدريس في كل قرن بالاطلاع على طائفة من الكتب التي صفت فيه . روايات ووقائع فأصول وقواعد مؤيدة بها فاختصار لئذكرة المنتهى فاختصار على المختصرات وما كتب عليها فخلط للعلوم وخلل في التعليم . وجلة القول في سيرة المسلمين في التعليم انها كانت سائرة على سنة الفطرة بطبيعتها لا بقوانين وضعت لها ثم انحرفت حتى ضاع العلم وضل الفهم وصرنا الى ما نرى

لم يدون المسلمون قوانين للتعليم في عنفوان دولة العلم فيهم بل كان موكولاً الى المدرسين يسلكون فيه ما لك الكتب المصنفة فكثرت الطرق بكثرة المصنفات واختلاف مذاهب المصنفين والمدرسين حتى قام في القرون الوسطى من ينتقد ما عليه أهل عصره ومن قبلهم كالامام الغزالي وتلميذه أبي بكر بن العربي ثم جاء الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون فبحث في التعليم بحثاً لم يسبقه اليه سابق وضعه على قواعد الفلسفة فأصاب كثيراً من الاغراض . ومن الأصول التي قررها ان التعليم من الصنائع التي تتبع حال الحضارة والعمران في الترتي والتدلي كسائر الصنائع وأن كثرة التأليف في العلوم عاتقة عن التحصيل وأن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتحصيل . وأن خلط العلوم بعضها ببعض يحول دون النظر بشيء منها ، وان غاية تعليم الفن هي تحصيل الملكة فيه ، والمراد بالملكة ملكة العمل فنكة البلاغة هي أن يكون ذوق الكلام البليغ صفة مالكة للنفس بها يسهل الاتيان بالكلام البليغ قولاً وكتابة دع فهمه والتمييز بين أقسامه وعلى ذلك فقس . وقد استفاد ابن خلدون هذه القواعد والاصول من النظر في كتب المتقدمين ومعرفة تاريخهم ومن اختبار حالة التعليم والتأليف في عصره ، ولكن المسلمين لم يستفيدوا من أصوله هذه ولا من أصوله في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع لأن هذا انما جاءهم في طور التدلي في العلوم والعمران كما قلنا في مقدمة أسرار البلاغة وما نقله

عنه الشيخ محمد شاكر في تقريره هو من المواضع التي قصر فيها وأجل وعذره الفرار من التكرار وإنما يعرف رأيه من مجموع ما كتبه وتقدم التنبيه على بعضه ، ومنه تحصيل ذوق البلاغة بممارسة الكلام البليغ ومنه الاستدلال على حسن طريقة التعليم بقصر مدة التحصيل ودمه الاعتماد على الحفظ وتفضيله طريقة تونس بالأكتفاء بخمس سنين في تحصيل الملكة على طريقة المغرب في جعل مدة التحصيل ١٦ سنة وكانوا يعتمدون على حفظ المتون وقد استدرك عليه علماء التعليم والتربية (البيداجوجيا) في هذا العصر فيما رآه من ابتداء المتعلم بأصول المسائل من كل باب واعادتها بالتكرار ثلاث مرات بالتفصيل الذي ذكره، ومن الغريب ان صاحب التقرير لم يأخذ عنه الا المجل المستدرك عليه وترك سائر آرائه وهي مخالفة لما عليه المشيخة بالاسكندرية

هذا صفة ما تختصر به تاريخ التعليم عندنا وأما العلوم أنفسها فكانت العناية بها تختلف باختلاف حال الدولة التي هي أس الحضارة وشر ما حدث في القرون المتوسطة العناية بالجدل والخلاف في الفقه وقد انبرى حجة الاسلام الغزالي لبيان مفساد هذه البدعة بعد أن خاض فيها مع الخائضين ، وكان في مقدمة المبرزين ،

﴿ رأي الامام الغزالي في التعليم الاسلامي ﴾

كتب ابن خلدون ما كتب في التعليم من حيث هو فن صناعي يرتقي بارتقاء العمران . وأما الامام الغزالي فقد كتب فيه من حيث هو طريق للارشاد وهداية الدين فما ذهب اليه هو هدي السلف الصالح - والجدير بأن تهتدي به مشيخة العلوم الدينية المحضة - الذين غرضهم حفظ الدين والاهتداء به . قال في فصل (بيان القدر المحمود من العلوم المحموده) بعد أن قسم العلوم الى محمود قليلة وكثيره ومذموم قليلة وكثيره وهو ما لا يفيد في دنيا ولا دين وقسم يحمد منه مقدار مخصوص ويندم التوسع فيه والاستقصاء ما نصه

« وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا » ثم مدحه وبين ما يحتاج اليه طالبه من المجاهدة وتهذيب النفس وقال « وأما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم

منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاراً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد
لا مرد له الى آخر العمر . فكن أحد رجلين اما رجل مشغول بنفسك واما متفرغ
لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك .
فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب
ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة وانصوم
وأما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يندم» وأطال في
بيان مكانة علم التهذيب من الدين وأن الأعمال الظاهرة لا تفيد عند الله بدونه
ثم قال «وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه
وصار ذلك ديدنالك وعادة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات
وداع التدربح فيها فابتدى بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم
التفسير وسائر علوم القرآن من علم النسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم
والمتشابه وكذلك في السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه
دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد
فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالباً للاستقصاء فان العلم كثير
والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطاوعة لصينها بل لغيرها
(يعني العمل المطلوب لعينه هو العلم بالله و بسننه في خلقه وحكته كما تقدم) وكل ما يطلب
لغيره فلا ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقصر من شائع علم اللغة على ما تفهم
منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع
التعمق فيه واقصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الاوله
اقتصار واقتصاد واستقصاء» ثم ذكر نموذجاً لهذه المراتب الثلاث ومثل لها بالكتب
المختصرة والمتوسطة والمطولة ومن رأيه أن المطولات تصنف للمراجعة لا للتدريس
ثم نهى عن الجدل والخلافات في المذاهب وذكر أنها من البدع التي لم يهتد
مثلها في السلف وشبهها بالسهم ثم قال
«وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا: فلا تظن
ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد على

الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلمه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يفرنك قول من يقول ولا يعرف علاه الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الا ولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلم الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المقتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمسكه على شروط الجدل في أكثر الامر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لاعتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيد والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تصرف همته الى علم المذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال»

ثم طفق يذم الجدل في العلم مطلقاً ومنه قوله : وفي الحديث في معنى قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم . وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلغ عليهم باب العلم ويفتح لهم باب الجدل: ثم عقد بعد ذلك باباً لبيان سبب علم الخلاف وآفات الجدل والمناظرة والحديث الذي ذكره في تفسير الآية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة وأورده بالمعنى . فلينظر القارئ أين طريق السلف في العلوم الدينية من طريق الازهر على رأي الشيخ محمدشكر ، وكيف العناية عندهم بالجدل مكان العناية بالمهم عن السلف من العلم بالله وصفاته وأفعاله (وهي تعرف من علم الكون) وبسننه في خلقه (وهي المبرر عنها في هذا العصر بعلم الاجتماع وعلم نواميس الطبيعة) وعلم حكمة ترتيب الآخرة على الدنيا: لاشيء من ذلك في الازهر ولا في الاسكندرية فمسي أن يوقتهم الله تعالى للاسترشاد وما كتبه حجة الاسلام في ذلك

تعب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اقناع كبار شيوخ الازهر في اصلاح التعليم فكانوا لا ينفذون كل ما اقتنعوا به وهو بعض ما دعاه اليه مما يريد منه أن يكون الفرض من كل فن وعلم القدرة على استعماله والوصول الى غايته دون الجدل والمحاكمة في

عبارات كتبه وهذا عين ما يقوله الفرالي وما كان يعني به السلف . وسنعود في
الجزء الآتي الى الكلام في التعليم ان شاء الله تعالى

انشاء مجلة المقتبس

المقتبس

انشأ صديقنا محمد أفندي كرد علي دمشقي في القاهرة مجلة أدبية علمية
اجتماعية شهرية سماها (المقتبس) وقد أصدر الجزء الأول منها في شوال وهو لشهر
الحرم من العام القابل أصدره قبل وقته تعجيلاً للفائدة . اعتاد المصريون على كثرة
رؤية الصحف الجديدة وعلى سرعة فقدها فقلت ثقتهم بالجديد وان كان مفيداً
لعدم ثقتهم به وبدوامه والسبب آخر هو عدم ثقتهم بثبات صاحب الصحيفة على الخطة
التي يخططها لنفسه في ابتداء عمله . فمن النصيحة لقراء المنار أن نعرف اليهم المقتبس
(الكتاب) أولاً والمقتبس (المجلة) ثانياً ليشترك من يشترك عن بينة

محمد أفندي كرد علي من شبان دمشق الذين حسنت تربيتهم وعني بتعليمهم وقد
اشتغل زمناً بتحرير جريدة (الشام) وله مقالات كثيرة في مجلة المقتطف ويعرف
التركية والفرنسية معرفة جيدة ويحسن الترجمة عنهما وعبارته من أحسن عبارات
كتاب هذا العصر وأسلمها من الخطأ والعلطة والمماظلة . وهو حسن الاختيار
فيما يقتبس من الكتب العربية والأوربية وحسن القصد فيه . وما حمله على انشاء
هذه المجلة الا ولوعه بنشر العلم والأدب الذي يراه نافعا فالكتابة انشاء وترجمة
هي منتهى لذته لا يكره فيها الا الخوض في السياسة وكل ما يختلف الناس فيه
المذاهب والمشارب ، فانشأ مجلة المقتبس ليمتع عقله بلذته ، ويفيد قراء العربية
بحسب استطاعته ، ودعوة أصدقائه من الكتاب الى مساعدته ، وهو غني عن
الكسب بقله وقد وطن نفسه على الخسارة المالية سنتين أو ثلاثا ولكن محبي العلم
والأدب في مصر وغيرها لا يرضون له الخسارة في خدمتهم ان شاء الله تعالى
مباحث المجلة تدخل في عشرة أبواب (١) صدور المشاركة والمشاركة — وهو